إسرائيل/الأراضي المحتلة : تحويل الحزن إلى منبر للتغيير –بقلم أيرين خان، الأمينة العامة لمنظمة العفو الدولية

في مخيم جنين جلست امرأة عجوز إلى جانب كومة من الحجارة كانت تشكل منـزلها قبل الاجتياح الإسرائيلي. وأبرزت لي البطاقة الشخصية لابنها المقعد جمال الذي كان يلزم الكرسي المخصص للمقعدين (المدولب). وأخبرتني أنه عندما باشر جيش الدفاع الإسرائيلي هدم منـزلها، حاولت العائلة إخراج جمال منه، لكن الجدران تداعت وهرب أفراد العائلة إلى الخارج. ودُفن جمال حياً تحت الأنقاض.

وبالقرب منها وصف رجل مسن كيف طلب الجنود الإسرائيليون من ابنه أن يسلم إلى زوجته الطفل الرضيع البالغ من العمر أربعة أشهر والذي كان يحمله بين ذراعيه. وأخبرني أنهم عندئذ أخذوه هو وابنه وابن جاره إلى ممر ضيق يقع خلف المنـزل وأمطروهم بوابل من الرصاص. وقد نجا الرجل المسن وأنقذه جثمان ابنه الذي هوى عليه. وتظاهر بأنه ميت، إلى أن غادر الجنود واستطاع هو أن يزحف حتى أصبح في أمان.

وفي باحة مستشفى جنين، تقبع سيارتا إسعاف وقد مزقتهما نيران دبابات الجيش الإسرائيلي. وأبلغني المدير الطبي أنه طوال عشرة أيام، سدت الدبابات والقناصة الإسرائيليون مدخل المستشفى. ولم يُسمح له بإحضار جثامين الموتى أو الجرحى، ولم يُسمح لأي شخص بالمجيء إلى المستشفى. وفي NQ إبريل/نيسان، عندما سمح الجيش له في نهاية المطاف بالتوجه بسيارة الإسعاف إلى مخيم اللاجئين، جرت مفاوضات طوال NN ساعة لإخلاء شخص واحد مصاب بجروح خطيرة.
وفيما بعد تصفحت جريدة هآرتز. وشاهدتُ في صفحتها الأولى صورة دب دمية ملطخ بالدماء. ويعود إلى فتاة إسرائيلية عمرها R سنوات قُتلت في الليلة السابقة في هجوم شنه رجال مسلحون فلسطينيون على مستوطنة إسرائيلية تقع بالقرب من الخليل.

وفي اليوم التالي التقيت بإسرائيلي تحدث باعتزاز عن والده الذي كرس حياته لقضية الصداقة الإسرائيلية – الفلسطينية، لكنه قُتل في هجوم انتحاري على مقهى في حيفا في PN مارس/آذار OMMO. وأخبرتني امرأة عمرها OR عاماً في مركز شيبا تل هاشومر للتأهيل كيف أنه في اليوم الأول من عملها في فندق بارك هوتيل في OT مارس/آذار OMMO، انفجرت قنبلة يحملها انتحاري فلسطيني على بعد بضع ياردات منها. وهي الآن مشلولة من الخصر فما دون. وتبين التجارب التي مر بها هؤلاء الأشخاص الذين التقيت بهم خلال زيارتي إلى إسرائيل والأراضي المحتلة في الأسبوع الماضي: أن لا شيء يبرر استهداف المدنيين وتدمير حياة الناس ومعيشتهم، والانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان والقانون الإنساني، سواء في حيفا أو الخليل أو جنين أو القدس. وبينما يحتدم الجدل السياسي حول أمن إسرائيل وتحرير فلسطين، تبقى حقيقة أن الأشخاص العاديين في كلا الجانبين يدفعون ثمناً باهظاً للعنف المتصاعد. وفي كل يوم يتعرض الأطفال للتشويه وتتعرض أرواح الناس وأرزاقهم للتدمير من دون أن ينال الجناة عقابهم.

ولن يكسر دوامة العنف في الشرق الأوسط إلا اتباع مقاربة حيادية مبنية على المعايير الموضوعية للقانون الدولي الإنساني ولحقوق الإنسان. وكشف الحقائق هو الخطوة الأولى نحو إنصاف جميع الضحايا. وهذا هو السبب الذي يجعلني أشعر بخيبة أمل شديدة إزاء مقايضة مبادرة الأمم المتحدة لمعرفة ما حدث في جنين بالمصالح السياسية.

وقد دعت منظمة العفو الدولية لإجراء تحقيق دولي شامل ومستقل في جميع انتهاكات حقوق الإنسان والقانون الإنساني. وهناك أدلة جديرة بالثقة على ارتكاب القوات الإسرائيلية انتهاكات خطيرة للقانون الإنساني الدولي وحقوق الإنسان في جنين. وإن السماح لهذه الانتهاكات بأن تمر من دون أي تحقيق يشكل إهانة للضحايا. وينبغي إجراء تحقيق ليس في ما جرى في جنين وحسب، بل أيضاً في نابلس والخليل.

وبالمثل يجب أيضاً مساءلة السلطة الفلسطينية والجماعات المسلحة الفلسطينية. فاستهداف المدنيين الإسرائيليين ينتهك القانون الإنساني الدولي. وكل من يعلن مسؤوليته عن العمليات الانتحارية أو يُشتبه في أنه ساهم في ارتكاب هذه الأفعال الشنيعة يجب أن يُقدَّم إلى العدالة.

وهناك العديد من الفلسطينيين الغاضبين الذين يودون الانتقام. لكن هناك أيضاً فلسطينيين، بمن فيهم أشخاص التقيت بهم في القدس وغزة، يدينون قتل المدنيين الإسرائيليين. وهناك العديد من الإسرائيليين الذين يخشون أن يُقتلوا ويرون أن الرد العسكري هو الحل الوحيد، لكن هناك أيضاً أولئك الذين يفكرون بطريقة مختلفة. وقد قال لي رجل، قُتلت ابنته المراهقة في عملية انتحارية وقعت في سبتمبر/أيلول NVVT، "كان يمك
u1606? أن أحوّل حزني إلى أداة للكراهية، لكنني آثرت أن أحوّله إلى منبر للتغيير". وينبغي على أرييل شارون وياسر عرفات وجورج بوش أن يصغوا لمناشدات الضحايا وأن يدرجوا احترام حقوق الإنسان والقانون الإنساني في صلب المفاوضات السياسية.

أيرين خان
الأمينة العامة
لمنظمة العفو الدولية